«رقص على الماء» لمحمود البياتي:

عراقيون في منفى بعيد وبارد!

حسين الكناني*

■ صدر عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت رواية بعنوان «رقص على الماء (أحلام وعرة)» للكاتب العراقي المقيم في السويد محمود البياتي. 157 صفحة من القطع المتوسط، تزين غلاف الرواية لوحة لبيكاسو.

تدور أحداث «رواية رقص على الماء» في مدينة همركولان في السويد، وجميع شخصيات الرواية هم من المهاجرين والمنفيين واللاجئين، ومن الملاحظ أن هذه الشخصيات المختلفة والمتنوعة والتي جاءت من خارج السويد لتعيش في هذه المدينة الباردة والبعيدة، هي شخصيات حقيقية صنعتها أقدار سياسية وتاريخية واجتماعية وثقافية مختلفة، مثل الحروب، والاضطهاد السياسي، والملاحقات، والتمييز العنصري... لتختلط الهويات مع بعضها، والأجناس مع بعضها، وتتراكم تجارب جديدة، لتصبح تجارب عالمية.

أما شخصيات الرواية الأساسية فهي كالآتي: الراوي، وهو الشخصية الوحيدة التي على وعي تام بالأحداث، وهي التي تقص الأحداث، وتوجه رؤيا السرد، أما الجزء الأساسي من تكوينه فهو هويته، ذلك أنه سياسي عراقي، كان ملاحقا في بلده، فهرب إلى الخارج، ثم عاش عشرين عاما في براغ، وحين يسرد الأحداث نعرف أن له أكثر من عشرة أعوام في السويد.

الشخصية الثانية هي شخصية غادة، وهي رسامة فلسطينية نجت من مذابح صبرا وشاتيلا، وتصور الرواية بعض تفاصيل حياتها ومعاناتها كفلسطينية، ذلك أنها ولدت في بيروت، في مخيم صبرا وشاتيلا، ثم عملت في مكتب هندسي في قبرص، وبعد ذلك استقرت في السويد بعد أن عملت في مكتب هندسي هناك.

الشخصية الرئيسية الثالثة هي شخصية سارة اليهودية، وهي مهاجرة قادمة من بولندا، إلا أن الرواية جعلت منها شخصية نمطية، شخصية يهودية نمطتها الرواية تبعا لمآل مسبق خاص برؤية عامة مصنوعة ومتكلفة، فلم تخرج عن الإطار المرسوم لها سلفا كيهودية، ولا سيما بعد أن جعل راوي الأحداث لها مهمة واحدة، وهي مهمة إغوائه، وهو يرفض بطبيعة الأمر!

وهناك شخصيات أخرى عديدة، مثل الفونس صاحب المحفظة التي يعثر عليها الراوي، وتدور أغلب أحداث الرواية حولها. وخوليو الموسيقار القادم من شيلي، وآواز الكردية، وأخيرا عبدو العراقي الذي سيغادر إلى عمان للزواج من امرأة اختارها أهله له...

تبدأ الرواية على مشهد يصف الراوي فيه عثوره على محفظة نقود: «رأيت محفظة نقود على الأرض. وضعتها في أبرز مكان على طاولتي الصغيرة في الركن وأشعلت سيجارة. عاد خوليو من البار حاملاً كأس نبيذ أبيض وقهوة. أوشكت أن أخبره بما وجدت لكن سارة انضمت إلينا. كانت متألقة وغير ثملة خلافاً للعادة. جلست بفستانها الأرجواني الطويل وهي تضحك».

يوازن الراوي بين محفظة النقود وبين خزين الحكايات، ففي بحثه عن صاحب المحفظة ينفتح خزين الحكايات لنتعرف على شخصيات مختلفة، وثقافات مختلفة، وأحداث متنوعة، حيث تتجاوز الرواية مفهوم السر، ذلك أننا نعرف ومن الصفحات الأولى أن المحفظة هي لألفونس، لكننا نتجاوز المحفظة لنصل إلى خزين الحكايات الذي يطرح أمامنا شخصية ألفونس وأحداث حياته.

ثم يعرض الراوي المحفظة أينما حل، عله يجد صاحبها، في المقاهي والبارات التي يتردد إليها، يضعها أحيانا أمامه على الطاولة التي يشغلها فربما يأتي صاحبها ويتعرف إليها، وحين تنصحه صاحبة المكتبة أن يسلمها إلى البوليس يرفض ذلك، ويعتقد أنه سيصل إلى صاحبها، ومن خلال هذه المانعة نصل شيئا فشيئا إلى دلالة المحفظة، نصل إلى الثروة، نصل إلى الهوية، وإلى الأسرار الشخصية، حيث أن البحث عن صاحب المحفظة في الرواية يقودنا إلى البحث عن هويته: لاجئ؟ منفي؟ مواطن؟ ما هي قصته؟ ما هي أسراره؟ من أين جاءته النقود؟

محمود البياتي

تتوزع الرواية ثيمتان أساسيتان، الأولى هي قصة المنفى والمنفيين في العالم، حيث يورد المؤلف مقطعا افتتاحيا للرواية مأخوذا من إدوارد سعيد: (أن ترى العالم أجمع أرضا غريبة).

ويناقش الراوي فيه الغربة، والمنفى، بشكل مثير ومرح، وتتعرض الرواية إلى أفكار فلسفية، وثقافية، وتاريخية عديدة، حيث تتطور الوقائع إلى أحلام، ونصل مع الراوي إلى حلم يجمع بين ماركس والمسيح وموسى، أي أن المنفي لا يكتفي بالواقع إنما يذهب إلى ما هو متخيل، ولكي يناقش قضية الاندماج في المجتمع السويدي، والعلاقة مع الآخر يجمع بين شخصيات تاريخية ودينية وإنسانية متناقضة في الظاهر لكنها متقاربة في الواقع، وهكذا تناقش الرواية الأفكار الكبرى، مثل الديانات التوحيدية، والعدالة، والحضارات العريقة كحضارة بابل ومصر، والبيان الشيوعي ويسوع ولكن بطريقة شفيفة ومرحة.

الثيمة الثانية هي أن المنفي لا يكتفي بهموم المنفى إنما بهموم الوطن الأول أيضا، أي أن للمنفي عذابين لا عذابا واحدا، وهكذا كان الراوي يقضي الساعات بانتظار هاتف أمه، وسماع أخبار وطنه أيام كان يحتضر تحت ثقل الحصار:

«بكيت ثلث ساعة وأنا مطرق الرأس في مكاني. تذكرت القصص التي كانت تسردها قبل النوم أو عند المرض. تذكرت بلوز الصوف والبانتوفلات التي تخيطها مطلع كل شتاء، وكنا نصغي إلى نشيش إبريق الشاي ونظراتنا مسمرة في جمر تكسوه طبقة من رماد. الحرارة تلفح وجوهنا وتثقل الأجفان لكننا نقاوم ونقاوم ونقاوم».

الرواية ذات لغة عذبة وشفافة، وأحداثها مثيرة، تتنقل بين شخصيات متنوعة، وثقافات مختلفة، وتناقش أحداثا سياسية وتاريخية واجتماعية كثيرة. وفي الواقع نحن إزاء أدب كامل جديد هو أدب المنفى والذي يكتبه أدباء عرب عاشوا زمنا طويلا في المدن الغربية، وبقوا على صلة في بلدانهم سواء عن طريق الأدب الذي يكتبونه، أو عن طريق الأحداث التي ينسجونها في نصوصهم.

* كاتب عراقي مقيم في دمشق

فضاءات ثقافية

العدد المزدوج الجديد من مجلة «آفاق» المغربية مجلة اتحاد كتاب المغرب: ملف حول سياسة أم سياسات لغوية؟

الرباط ـ «القدس العربي» ـ من عبدالحق ميفراني:

استأنفت مجلة «آفاق» المغربية، مجلة اتحاد كتاب المغرب، الصدور باخراج العدد المزدوج 70و71 في حلة جديدة، و«كرافيغ» جديد، تأكيدا لافتتاحيتها والتي حرصت على الاشارة الى رغبة انتظام الصدور.

ويشير الأستاذ عبد الحميد عقار (رئيس اتحاد كتاب المغرب) المدير المسؤول الى «حرص المجلة المضاعف على أن تظل منبرا متميزا ومستقلا للفكر وللابداع المتحررين من سجن العادة والتقليد، ولبلورة الجديد من الرؤى والأفكار وصيغ الابداع وتعبيراته، طموحا في أن تشيد فضاء يضفي الحيوية على الحوار.. بصدد اشكالات اللحظة في تعقيداتها وتناقضاتها..».. ان أهداف المجلة والتي تمثل احدى أعرق المجلات الثقافية مواصلة الاسهام في القاء الضوء «بتؤدة وعمق ووعي نقدي على المشهد الثقافي قيد التشكل والتحول في آن واحد، وعلى رصيده الفني والفكري.. والذي صار في تنوع مرجعياته ولغاته ورؤاه، بمثابة ذخيرة تغني الوجدان والمتخيل».

يضم العدد المزدوج لآفاق حوار العدد وملفا مخصصين للسياسة اللغوية بالمغرب، وهما بمثابة اصغاء لواقع لغوي غني بتعدده، قصد التقويم العلمي والنقدي للخيارات اللغوية، عموما يفتتح عدد آفاق الجديد طموح المجلة في أن يكون هناك توازن في المادة بين الابداع والبحث والدراسة.

باب القصة القصيرة ضم نصوصا قصصية لكل من مبارك ربيع، أحمد المديني، ربيعة ريحان، أنيس الرفعي، لطيفة لبصير، محمد اشويكة، فاطمة بوزيان. وفي الشعر نقرأ قصائد للشعراء أحمد بلحاج آيت وارهام، محمد الواكيرة، الزهرة المنصوري، لطيفة المسكيني، محمد بودويك، محمد الشركي، طه عدنان، محمد حجي محمد، مراد القادري، محمد مستاوي. احتوى العدد على نص مسرحي في مشهد واحد للمسرحي بوسلهام الضعيف موسوم ب «خلقنا لنعيش الحياة».

حوار العدد كان مع الدكتور الباحث عبدالقادر الفاسي الفهري الخبير الدولي في مجال اللسانيات، وكان تحت عنوان «التعدد اللغوي يجب أن يكون مغنيا لا مفقرا» ويندرج في اطار ملف آفاق حول السياسة اللغوية بالمغرب رهاناتها حاضرا ومستقبلا محاولة للاجابة على سؤال: سياسة أم سياسات لغوية؟ وقد شارك في هذا الملف باحثون هم: عبدالغني أبو العزم، عبدالعزيز حليلي، عبداللطيف شوطا، جمال بندحمان، محمد غنايم، رشيد الادريسي، محمد المدلاوي، الحسين وعزي، نورالدين دنياجي، الذهبي مشروحي مارس، أنور المرتجي. وقد حاول جل المشاركين في الملف الاجابة على أسئلة من قبيل الخيارات اللغوية، الوضع اللغوي بالمغرب، مقومات السياسة اللغوية، لغات المغرب... في باب الترجمة نقرأ ترجمة للناقد محمد باردة حول بونوا دونيس الأدب والالتزام، أما في باب قراءات ومراجعات فقد كتب الناقد والقاص محمد زهير عن ديوان «سدوم» للشاعر محمد بنطلحة، وحول صدور أعمال شعرية للشاعر محمد الأشعري قارب محمد بودويك البياض المر والشهي فيها، بينما تناول خالد بلقاسم أعمالا شعرية من باب الحذف الذي مس بعض النصوص. الناقد حسن مخافي يعود لديوان الشاعرة ثريا مجدولين «سماء تشبهني قليلا» كي يلاحظ القصائد التي تنمو على حافة الاغتراب، أما أحمد زنبير فيكتب عن احتفالية القول بين المد والجزر في ديوان «بملء الصوت» للشاعر ادريس الملياني، في حين يقارب جمال الموساوي خيبة المثقف في كتاب «حداثة معطوبة» للشاعر محمد بنيس، أما القاص محمد أمنصور فيتناول «الديونيزسية وحبال التأويل» في كتاب هشام العلوي «في قبضة الثقافة: نظرات ورؤى حول الجسد» ويختتم الباحث محمد أقضاض هذا الباب بتقديم قراءات في أعمال أمازيغية، ديوان «تانيرت/ألواح أمازيغية» لادريس الملياني، ديوان «تيقت» للشاعر سعيد أقضاض، كتاب «الأدب الأمازيغي بين الشفاهية والكتابة»، رواية علي ايكن «اسكين ن انزادن».

تختتم آفاق أبوابها بملحق خاص عن أنشطة اتحاد كتاب المغرب ضم تقارير المؤتمر السادس عشر، نظام الاتحاد، البرامج والتقارير، واذا كان العدد المزدوج قد احتوى 352 صفحة، بتبويب جديد منفتح الا أن رهان الانتظام لهذه المجلة كفيل برسم أفقها الذي تطمح اليه، رغم أن العدد عبر عن تصور تحريري أكثر «حرفية» في التبويب وآنية الملفات والقراءات ذات الجدة، رهان مجلة آفاق، مجلة اتحاد كتاب المغرب لن يكون الا رهان التحديث والتأويل.

الكتاب الثاني من «الوصايا في عشق النساء» للشهاوي

القاهرة ـ «القدس العربي»:

للشاعر والصحافي المصري أحمد الشهاوي صدر الكتاب الثاني من ديوانه «الوصايا في عشق النساء» وذلك عن المكتب المصري للمطبوعات في القاهرة، وهذا الديوان الجديد يأتي بعد كتابه الأول الذي أثار ضجة وهجوما من الأزهر عليه، ومن الواضح لقارىء الديوان الجديد مدى الجرأة البالغة في نصوص الشهاوي التي تحتفي بالمجاسدة بين الرجل والمرأة، وتفاصيل حميمة مستندا في ذلك إلى التراث العربي والإسلامي، بل يورد اقتباسات قرآنية أو أحاديث نبوية أو حكايات فيما يصوغ نصه الغني بلغته وصوره ودلالاته. يقول الناقد د. صلاح فضل في تقديمه للوصايا «تتجلى جسارة الشهاوي في هذه الوصايا عبر تمثله لأصوات التراث العربي، الغني في أدبيات العشق، ودعوته للمرأة كأنه اصبح وصيا عليها كي تقرن تحرر الروح بتحرر الجسد، وتحقق وجودها الحسي وكينونتها العاطفية بشجاعة فائقة، ويسرف الكاتب في استعراض أدبيات الشبق وفنون الهوى فيدير عددا كبيرا من وصاياه على هذا المحور الأمر الذي يرتد بالمرأة في منظوره إلى أن تصبح واضعة للمتعة بعد أن كانت موضوعا لها، ويقيم الشهاوي وصاياه على نهج الصوفية في إيثار الرمز والإشارة حينا، واللجوء إلى التصريح والبوح حينا آخر حتى يفسح المجال لمن يبغي تأويل قوله وتخريجه على غير ظاهره، فهو يدعو المرأة الى حرية الاستجابة لما فطرت عليه ويرسم لها معارج الكمال الانثوي». أما الناقد د. محمد عبد المطلب فيقول «تأتي اهمية هذه (الوصايا) من سعيها إلى تعديل العلاقة التراثية بين الرجل والمرأة حيث كان الرجل هو العاشق دائما والمرأة هي المعشوقة أبدا، وهو ما يعني أن الرجل هو المتن والمرأة هي الهامش والتعديل الذي قدمته الوصايا جعل المرأة هي المتن بوصفها العاشقة والرجل هو الهامش بوصفه المعشوق فهناك حرص مبدئي على إيجاد شركة في العشق تجمع الطرفين على سبيل التوحد، وقد استلزم هذا التعديل أن تحرص مجموعة الوصايا على إعلاء الأنثى والارتفاع بها إلى آفاق نورانية خلال استحضار الأنثى (الأم) بوصفها المتلقية الأولى بداية ونهاية».

ومن الجدير بالذكر هنا أن الشاعر الشهاوي المولود في 1960 عمل في الصحافة وما يزال وهو اليوم نائب رئيس تحرير مجلة «نصف الدنيا» وقد أصدر في الشعر من قبل 12 ديوانا منها: «ركعتان في العشق» 1988، الأحاديث: السفر الأول 1991، السفر الثاني 1994، أحوال العاشق 1996، كتاب الموت 1997، قل هي 2000، مياه في الأصابع 2002، الوصايا في عشق النساء – الكتاب الأول 2003، لسان النار 2005. وله كتب أخرى قيد النشر.

حفل «يعيش لبنان» في قصر شايو في باريس الاحد بمشاركة فنانين من العالم

باريس ـ من هدى ابراهيم:

يشهد قصر شايو في منطقة تروكاديرو في باريس الاحد 22 تشرين الاول/اكتوبر حفلا فنيا ضخما بعنوان «يعيش لبنان» بمشاركة اكثر من 30 فنانا وكاتبا من لبنان وفرنسا والجزائر وايطاليا وغيرها وبرعاية السفارة اللبنانية في فرنسا.

وينظم الحفل بمبادرة من ثلاثة لبنانيين عاملين في المجال الفني ويعود ريعه لمنظمة «الطوارىء الاولية» الناشطة في جنوب لبنان. وسيتم خلال الحفل تقديم اعمال متنوعة في مجالات المسرح والصورة والشعر والسينما والموسيقى اضافة الى الاغنية والموسيقى والرقص التعبيري بمشاركة من لبنان والجزائر وفرنسا وايطاليا وغيرها.

ويساهم في احياء الحفل «تجمع المخرجين اللبنانيين» عبر افلام صورت خلال الصيف في لبنان.

ويحضر الشاعر ادونيس لالقاء قصائد بصوته بمشاركة الفنانة حنان الحاج علي. كما سيكون الشاعر اللبناني باللغة الفرنسية صلاح ستيتية حاضرا وكذلك الكاتبة والفنانة ايتيل عدنان. اما الكاتب اللبناني بالفرنسية وصاحب جائزة غونكور امين معلوف فلن يكون حاضرا لكن الممثلة الفرنسية دومينيك بلان ستقدم قراءة من اعماله.

وسيقدم الممثل اللبناني سيمون ابكاريان نصوصا للاديب الياس خوري الذي لم يتحدد بعد اذا ما كان سينتقل الى باريس لحضور الحفل.

وفي المسرح، سيقدم روجيه عساف الذي وضع نصا خاصا بالمناسبة عمله في شايو. فيما يحضر المخرج والراوي التونسي الناصر خمير لالقاء حكايات من وحي المناسبة.

وفي الاغنية، تحضر اللبنانية ياسمين حمدان والفرنسية سافو والجزائرية سعاد ماسي اضافة الى فرق فنية اخرى.

اما في الموسيقى، فسيساهم في الحفل عبد الرحمن الباشا وزاد ملتقى وغيرهم.

وفي الرقص، تشارك فرقة «بي 3 عرب سود وبيض» من فرنسا وفرقة «باتيزاتو بلونديني» المسرحية ومجموعة تياترو ديل فيندو من ايطاليا.

وعقد المبادرون الى هذا الحفل الذي يقام برعاية وزارة الثقافة الفرنسية والسفارة اللبنانية في باريس مؤتمرا صحافيا مساء الثلاثاء بمشاركة كل من حنان الحاج علي وحنان عبود اشقر ونبيل الآزان، وهم الذين اعدوا العمل الفني الضخم.

واكد المنظمون خلال المؤتمر مشاركة فنانين من العالم في حفل الاحد تعبيرا عن "تضامنهم ومساندتهم للبنان الذي لا زال تحت خطر حرب قد تتجدد».

وعرضوا نتائج الحرب المدمرة وانعاساتها على لبنان بشريا واقتصاديا وبيئيا واعتبروا ان حفل الاحد يأتي ليقول «كفى» ولمساعدة لبنان على الخروج من تحت الرماد والردم.

واعتبروا انه «من الضروري المشاركة في جعل لبنان حاضرا في الساحة العامة الفرنسية بعيدا عن الخلافات التي تقسم البلد».

واثارت حنان عبود اشقر في مداخلتها حماسة واندفاع فنانين من العالم للمشاركة في الحفل وتحدثت كما حنان حاج علي عن شبكة الصداقة بين الشعبين الفرنسي واللبناني حيال ما حل بهذا البلد. وقالت «نريد الاستمرار في ان نكون بلدا واقفا واخترنا الخط الفني لقول ذلك».

وتكلمت حنان الحاج على عن «مقاومة اخرى» تجسدت عبر شبكة الصداقة الفرنسية الشعبية ومن كل الجنسيات للبنان عبر المسرح والفن لكنها لفتت الى ان معارضة سياسية واجهت المنظمين حين ارادوا اطلاق اسم «مقاومة» على حفل الاحد.

وقال مخرج العمل نبيل الآزان انه حرص على «اضفاء نوع من الوحدة الفنية ووحدة العمل ضمن صيغة متماسكة ومتناغمة توافق بين الضوء والعروض المتنوعة واللون والصوت والصورة في الحفل الذي سيخلو من الخطب السياسية ولن يكون فيه مساحة سوى للشعر».

وحضر المؤتمر الصحافي تييري مورسينيه ممثلا عن منظمة «الطوارئ الاولية» (بريمبير ايرجانس) غير الحكومية التي تأسست عام 1992 وتواجدت في لبنان منذ 1996 والتي سيعود اليها ريع حفل الاحد.

وقامت هذه المنظمة خلال الحرب بمساعدة المهجرين الذين توافدوا الى صيدا والشوف وصور وحتى سهل البقاع وبمساعدة الاشخاص الذين ليس بامكانهم الانتقال عبر متابعة توزيع الادوية التي يحتاجونها. كما قامت باسعاف بعض الجرحى وتوزيع الاغذية في صور والقرى المحيطة بها وتنقية مياه الشرب في 40 قرية.

واوضح تييري مورسينيه لفرانس برس ان منظمته ستعمل في المستقبل على انعاش اقتصاد الجنوب على نحو خاص وهي انفقت مليونين وخمسمئة الف يورو في لبنان الذي بات احوج من قبل على اعتبار ان بعض القرى في جنوب لبنان تم مسحها تماما عن الخريطة.

وفي ختام المؤتمر، اوضحت حنان الحاج على ان ريع الحفل سينفق ايضا على مشاريع ثقافية مثل مشروع الباص المتنقل للقراءة الذي ينظم بالتعاون مع جمعية «المورد الثقافي» التي تديرها من القاهرة بسمة الحسيني.

قـــص

الهملايا

سعيد بوكرامي*

1

أريد أن أقول لكم، قبل الختم، من كنت؟ وكيف أصبحت؟ لا أدري من أين أبدأ؟

المهم أن كل شيء قد تغير وبدأت أمر من الأمكنة ولا أعرفها وبالأشخاص فلا أتعرف عليهم.

ليس فقدا للذاكرة ولا غسيلا للدماغ وانما ارتجاج في الحواس.

الأمر ما زال بسيطا مادمت تستطيع التعرف على نفسك أمام نفسك وعبور الشارع، حذرا هستيريا الطريق، لتشتري الجريدة، دون سواها، وتنساها في جيب معطفك.

أما هي والتي تدعى زبيدة فقد حاولت آلاف المرات أن أتعرف عليها لكن دون جدوى.

حدث هذا عندما استيقظت من حلم مزعج، فوجدت امرأة تنام بجانبك على الفراش مستسلمة لكسل لذيذ. من تكون هذه المرأة؟ لم يسبق لك أن شاهدتها. ما أراه هو بالأخص وجهها أما جسدها فمختف تحت الغطاء: حاجبان دقيقان مرسومان بقلم أسود. عيناها الداكنتان العميقتان لامعتان وشعرها أسود فاحم وناعم مرسل فوق الوسادة البيضاء.

لست زبيدة؟

من زبيدة؟

لست اذن زبيدة؟

من تكون زبيدة؟ تحصلون على ما تريدون ثم تنسون أسماءنا.

لا يهم. المهم، أنك لست زبيدة.

زبيدة لم تختف في أحداث الخبز. هاهي وراء زجاج المتجر الفخم بالتوين سانتر. تمسح الزجاج أو تلبس الدمى الآدمية ماركات جديدة أو تهب كنسمة من ركن الى ركن آخر لتقدم للزبائن طلباتهم أو تراها تقف شاردة أمام البوابة تنظر الى العابرين المنبهرين ببهاء المحل النحاسي.

ولأني أقف أكثر من اللازم، وأعبر أكثر من اللازم، فقد رأيتها تنتبه الى عيني الهاربتين من الملابس الفخمة والأضواء والألوان البراقة رأتني أنظر الى شعرها المربوط الى الخلف ببساطة ووجهها الطبيعي المزين بأشعة الضوء، وعينيها المتيقظتين والمتعبتين في نفس الآن وهما ترسلان نظرتهما الغامضة والملغزة بدون اتجاه.

(تلك النظرة هي التي لا أستطيع أن أنساها).

معطفا صوفيا.

أي نوع وأي لون وأي قياس؟

أخيرا سمعت صوتها، له ذبذبات دافئة، تحس ألفته الدفينة وكأنك تسمعه منذ الطفولة، صوت الأم، صوت الأخت الكبرى، صوت يشبه حلوى بروست، تتداعى بعده الذكريات، صوت يعزلك عن العالم رفقة سعادة سرية.

يمكنك أن تختار من المجموعة الجديدة.

أريدك أن تختاري لي معطفا يناسبني.

ابتسمت وبحركة احترافية سلت معطفا من بين المجموعة المطوية والمصففة بعناية.

جرب هذا سيناسب لون وجهك.

تناولت المعطف الأسود الصوفي الرطب ودخلت الى المعزل لأقيسه، كان مناسبا من حيث اللون والقياس، كأنها تعرف ما يناسبني أكثر مني.

خرجت سعيدا، استقبلتني بابتسامة عريضة وقالت:

مناسب جدا، أليس كذلك؟

وافقتها برأسي وابتسامتي ثم قلت:

غدا سأذهب الى حديقة الألعاب هل تودين مرافقتي؟

تأملتني بسرعة وكأنها تتأكد من أمر ما ثم قالت:

اذا كنت لا تريد المعطف يمكنك أن تنصرف دون أن تكلف نفسك ثمنه المرتفع.

لا، لا أحبه ولن أتكلف شيئا.

اذن نراك في مناسبة أخرى.

وغدا؟

عند البوابة، العاشرة صباحا. أما في المساء فأنا مشغولة.

قبل الفجر استيقظت، منحت جسدي لدفق الماء الفاتر وفجأة حولت الصنبور الى الاتجاه الأزرق تاركا الماء البارد يصفع وجهي وأعضائي المرتعشة كأنني أريد يقظة مضاعفة لأصدق ما أنا مقبل عليه.

دخلنا الحديقة وكأننا ندخل الفردوس.

أفكر فيما سأقوله، رتبته بعناية وبحسب المواضيع والأولويات.

تجولنا بين الألعاب الصامتة الخالية من الصخب الميكانيكي وصخب الأطفال والشبان.

قالت:

يعجبني ركوب الهملايا لأنها تخيفني وتخرج قلبي من صدري.

قلت:

أما أنا فأحب السيارات المتصادمة، يعجبني الارتطام المفاجئ.

أشجار الحديقة تسقط فوق رؤوسنا ثمارا سوداء صغيرة تشبه حبات التين، ندوسها بأقدامنا وكلانا يفكر في لمس أصابع الآخر.

قالت:

هدوء عجيب في هذه الحديقة.

في الصباح فقط، أما في المساء فصخبها يمتد لعدة أميال.

ماذا تشربين؟

برتقال بدون سكر.

أخذنا ركنا في الداخل ونهضت لاحضار قهوة لي وعصير برتقال لها.

عدت أحمل المطلوب ووجدتها تنظر في مرآة صغيرة.

وضعت العصير أمامها والقهوة أمامي.

شربت رشفات من عصيرها وقالت:

ما اسمك؟

ألا تعرفين اسمي؟

أجابت باستغراب:

لا، لا أعرفه.

يفترض أنك تعرفينه!

كيف أعرفه وأنا للتو سأتعرف عليك.

ولم أنا أتذكر اسمك دائما.

سألت عني اذن؟

لا، لم أسأل ولكني أعرفه منذ زمن..

وما هو اسمي؟

اسمك زبيدة.

زبيدة من!؟

أنت.

أنا اسمي فوزية.

تراجعت بالكرسي الى الخلف ونهضت قائلة:

سعدت بمعرفتك الى اللقاء.

وانصرفت تمشي مشيتها جسدها أمامي رائحته في أنفي طعمه في فمي.

الخوف من البرد، الرجفة، شبه الندم.

شردت بعدها ثم بدأ صخب الاذاعة المحلية وصرير الآلات الميكانيكية يغزو العالم.

* كاتب من المغرب